

سلسلة الرسائل الدعوية

الصبر على طاعة الله

إعداد
محمد حامد محمد

تأليف
محمد صالح المنجد

دار الأحياء
للطباعة والنشر والتوزيع

إسكندرية ت : ٥٤٥٧٦٩

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ١٤٣٦٥ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي

977 - 5191 - 71 - 73

دار الأيمان

للطببع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩
تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦٠

E mail : dar_aleman@hotmail.com



هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨



المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا
الأمين ، سيد الصابرين ، وإمام المتقين ، محمد بن عبد الله ،
وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم
الدين .

ثم أما بعد :

فلما كانت الدنيا دار بلاء وشقاء وعناء ، والآخرة دار
قرار وجزاء ، فلا يسلم المؤمن في هذه الحياة الدنيا من
المصائب والرزايا ، فمن في الدنيا لم يصب بمصيبة ؟ ! .
المرء رهن مصائب لا تنقضى

حتى يوسد جسمه في رمله
فمؤجلٌ يلقي الردى في غيره
ومعجلٌ يلقي الردى في نفسه

فهذه سنة الله في عباده ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ،
وللصبر أنواع ، وللنفس مع أحوال ، وكفى بالصابرين شرفاً
بأن الله معهم ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال
: ٤٦] .

وكان جزاؤهم بغير حساب : ﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ
أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وفي هذه الرسالة يطوف بنا **فضيلة الشيخ/ محمد
المنجد - حفظه الله - مع الصبر** وأنواعه وأحوال
الناس معه ، وكيف يكون المرء صابراً وغيرها من النقاط
التي تجدها بداخل الرسالة .

نسأل الله تعالى أن ينفع بها ، هو ولي ذلك ونعم
الوكيل .

كتبه

محمد حامد محمد

أهمية الموضوع :

عندما نؤدي هذه العبادات لله عز وجل ، يشعر الإنسان المسلم بتثاقل وهو يؤدي هذه العبادات ، يشعر بأنه عليه مشقة كبيرة جداً بأداء صلاة الفجر مثلاً ، وأداء صلاة الجماعة في المسجد ، وكل فريضة يؤديها في وقتها ، وهو يخرج الزكوات والصدقات ، يحس بأنه يجاهد نفسه لكي يخرج هذه الأموال ، فيشعر بمشقة ، وكذلك إذا دعى داعي الجهاد في سبيل الله وجدت الأمر صعباً ، وكذلك إذا جاء الإنسان المسلم الذي هداه الله عز وجل ليستقيم على شرع الله ويلتزم بأحكام الله ، وجد المجتمع يؤذيه من كل جانب ، ووجد أقرب الناس إليه وأحب الناس إليه يؤذونه ويشبطونه في الماضي في هذا الطريق ، وامرأة مسلمة هداها الله للإسلام تريد أن تلتزم بالحجاب الكامل ، تحس بأن الالتزام بالحجاب صعب جداً ، وتاجر مسلم يريد

أن يطهر أمواله من الربا وينقيها من الحرام يحس بأن هذا الأمر شاق وصعب وشديد ، الإنسان مع إخوانه في الله وهو يعيش معهم ، قد ينزغ الشيطان بينهم في أشياء كثيرة وتعاملات عديدة فلا يعجبه تصرف من هذا أو قولة من ذلك

إلى آخر هذه الأمور التي تحدث مما يجعل الإنسان يفكر أحياناً في أنه يترك إخوانه في الله مثلاً ، فكونه يجلس معهم ويجاهد نفسه للبقاء معهم أمر عسير وصعب وشاق .
هذه الأمور وغيرها أيها الأخوة مزاولتها تحتاج إلى صبر شديد .

هذا الصبر الذي سوف نتكلم عنه هذه المرة ..
هذا الصبر الذي يُسَهِّل هذه الأمور ، وهو الذي يذلل الصعاب أمام المسلم وهو يسير في طريقه إلى الله تعالى .

معنى الصبر

هذه الكلمة معناها فى اللغة :

المنع والحبس ، ويقال صبر يصبر صبراً ، وصبر نفسه ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف : ٢٨] ، ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ معناها : احبس نفسك وامنع نفسك عن ترك هؤلاء ، اصبر نفسك معهم ، احبسها معهم .

ويقال : هو « حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والقلب عن السخط » ، وكذلك « الصابر أو الصبر » هذه اللفظة فى اللغة لها اشتقاقات كثيرة ، تتعلق بما نحن فى صددده من بيان معنى الصبر ، فمن اشتقاقاتها مثلاً: صبر وتصبر ، واصطبر وصابر وغيرها من الاشتقاقات ، وكثير من هذه الألفاظ وردت فى القرآن الكريم .

الفروق بين هذه الألفاظ :

يقال للإنسان : « صبر » إذا أتى بفعل الصبر ، وإذا تصبّر إذا تكلف الصبر واستدعاه وتكلف حضوره ، وهذه اللفظة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى الفتاوى هى المعنى الوارد فى قول الله تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فقال : البأس : هو الفقر ، والضراء : كل الأذى الذى يحصل للبدن مثل المرض وغيره ، فالصابرين فى البأساء والضراء يعنى : المتصبرين على البأساء والضراء ، الذى يصبر ويتكلف الصبر وهو يعيش فى جو البأساء ومرارة الحاجة ، هذا يسمى متصبراً لأنه استجلب الصبر واستدعاه وتكلف حضوره .

وكذلك يقال اصطبر فى اللغة : يعنى تعلم الصبر ، فكون الإنسان يجلس ويتعلم الصبر ويحاول أن يكتسب الصبر ، فإنه يسمى مصطبراً .

الصبر على طاعة الله

وهذه اللفظة تقودنا إلى شيء مهم جداً ، هل الصبر خلق يُكتسب ؟ ، أم هو خلق فطري يولد مع الإنسان ولا يمكن الزيادة فيه ولا النقصان منه ؟! .

هل الصبر قضية مغروزة في الإنسان لا يمكن أن تزيد ولا تنقص ؟! أم أن الصبر الصحيح في هذه المسألة أن الصبر من الفطر التي يفطر الناس عليها ، فتري بعض الناس من طباعهم أن يصبرون ، وتري بعض الناس من طبيعتهم أنهم لا يصبرون ، لكن الصبر بالإضافة إلى هذه النقطة يمكن تعلمه واكتسابه ، بمعنى أن يكون الإنسان غير صابر فيتعود على أشياء معينة ويتعلم أشياء معينة تصل به إلى اكتساب الصبر ، ما الدليل ؟! يقول ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري : « من يتصبر يُصبره الله » ^(١) ، فإذا الرسول ﷺ يقرر بأن الإنسان يمكنه أن يتصبر ، بمعنى يعلم

(١) البخاري (٢٣٥/٣ فتح) الزكاة ، ومسلم (٤٤/٧ نووي) الزكاة .

نفسه الصبر ، ويكافح حتى يصل إلى المرحلة التي يتعلم فيها أو يكتسب فيها هذه الخصلة وهي الصبر .

فإن المزاوالت تعطى هذه الملكات التي في النفس ، ومن زاول شيئاً واعتاده وتعود وتمرن عليه صار مُلْكاً له وسجية وطبيعة كما يقول ابن القيم رحمه الله : « وقد جعل الله في الإنسان قوة القبول والتعلم لهذه الطبائع ، إلا أنه من الممكن تعلم هذه الطبائع واكتسابها على أنها طبائع ، غير أن العبد أحياناً إذا كان نزقاً ^(١) لا يصلح ، ثم حاول أن يكتسب الصبر ويتعود ويتطبع بالصبر ، فقد يكون انتقاله هذا من عدم الصبر إلى الصبر قد يكون ضعيفاً فيعود العبد إلى طبعه الأصلي بأدنى باعث [بأقل استفزاز تجدد العبد يعود إلى عدم الصبر الذي كان سجية له] وأحياناً يكون التصبر هذا فيه قوة بحيث لا يعود إلى سجيته الأولى

(١) النزق : الخُفَّة والطيش .

الصبر على طاعة الله

التي هي عدم الصبر والحدة إلا أن يكون في موقف قوي بحيث يخرج من هذا التصبر إلى سجيته الأولى التي كان عليها ، وأحياناً يكون التعلم والاكتساب للصبر قوي جداً ، بحيث يملك على الإنسان نفسه ولا يعيده إلى ما كان عليه في الماضي .

وإذا جئت معي إلى اللفظة الأخرى من اشتقاقات الصبر وهي كلمة « صَابَر » فهذه الكلمة تفيد وقوف الإنسان مع خصمه في عملية الصبر ، ولذلك لفظة « صَابَر » على وزن « فَاعَلَ » وهذه اللفظة تعني أنه لا بد من وقوعها بين اثنين على الأقل مثل شاتم يعني أن فلان شتم فلان وفلان شتمه .

عملية التسابق في الصبر تسمى « مصابرة » والمصابرة أعلى مرتبة من الصبر لأنه من الممكن الواحد يصبر لكن لا يصابر ، يصبر إلى فترة معينة لكن لا يصبر مع خصمه إلى

النهاية فيفقد الصبر في منتصف الطريق فلا يسمى قد صابر وإنما يسمى قد صبر ، ولذلك تأمل قول الله تعالى يتضح لك معاني لم تكن واضحة من قبل ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

هذا المقام هو مقام المراقبة والجهاد ، يأمر الله الناس أن يصبروا ويصابروا الأعداء ، لأن الأعداء قد يصبرون ، فالمؤمنون يجب أن يصابروا عدوهم حتى يفوقوهم في الصبر والجلد في أرض المعركة ، فالمصابرة هي حال الإنسان في الصبر مع خصمه ، فإن العبد قد يصبر ولكنه لا يصابر .

تعريف الصبر شرعاً :

ذكر بعض العلماء أنه « خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به الإنسان عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل شرعاً » .

وقال أحد السلف : « الصبر ثبات القلب عن موارد الاضطراب » ، والصبر والجزع ضدان يقابل أحدهما الآخر ولذلك قال الله تعالى عن أهل النار : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم : ٢١] .

أهل النار عندما ينطبق عليهم العذاب من كل جانب يقول بعضهم لبعض ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا ﴾ أى فقدنا الصبر عن هذا العذاب ﴿ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ على هذا العذاب ﴿ مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ ليس هناك مهرب ولا مفر ، لأنهم لو صبروا على العذاب أو جزعوا النتيجة واحدة فالعذاب مستمر ، فإن صبرهم لن يفيد شيئاً .

وعرّف بعض العلماء الصبر بأنه الثبات على أحكام الكتاب والسنة ، وقال بعضهم : هو الاستعانة بالله ^(١) .

(١) انظر تعريفات الصبر فى : عدة الصابرين لابن القيم - رحمه الله - .

الصبر يحول الأخلاق السيئة إلى حسنة :

● والصبر إذا كان صبراً على شهوة الفرج فإنه يصبح عفة « تأمل الآن كيف أن الصبر يقلب الصفات الذميمة إلى صفات حسنة » ، إذا كان صبراً على شهوة الفرج فإنه يسمى عفة ، وضدها الفجور والزنا .

● وإن كان الصبر على شهوة البطن وعدم التسرع في الطعام أو تناول ما لا يحسن الإنسان أن يتناوله ، فإنه يسمى شرف نفس وشبع نفس وضد الشرف والدناءة .

● وإن كان صبراً على إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام فإنه يسمى كتمان سر ، وعكسه إذاعة السر وإفشاءه أو اتهام الناس أو سبهم وفحشهم والكذب عليهم وقذفهم ، وهذا كله ضد صبر النفس ، وصبر اللسان عن التكلم بما لا يحسن التكلم به شرعاً .

● وإن كان صبراً على فضول الدنيا فإنه يسمى زهداً .



الصبر على طاعة الله

- وإن كان صبراً على قدر يكفي من الدنيا ، فإنه يسمى قناعة ، وإن كان صبراً على الإجابة لداعي الغضب في النفس فإنه يسمى حلماء .
 - وإن كان صبراً عن داعي العجلة والتسرع فإنه يسمى وقاراً وثباتاً .
 - وإن كان صبراً عن إجابة داعي الفرار والهرب فإنه يسمى شجاعة .
 - وإن كان صبراً عن إجابة داعي الانتقام فإنه يسمى عفواً وصفحاً .
- فتأمل معي كيف أن هذا الصبر هو الذي يقلب الأخلاق السيئة في النفس إلى أخلاق حسنة ، وهو الذي يداوي الأمراض النفسية ويجعلها تصل بالنفس إلى مراحل عليا .

أنواع الصبر

والصبر ينقسم إلى نوعين :

١ - صبر بدني . ٢ - صبر نفسي .

وكذلك ينقسم إلى نوعين آخرين من جهة أخرى :

١ - صبر اختياري . ٢ - صبر اضطراري .

فلو رتبنا هذه الأنواع على بعضها لخرج عندنا أربعة

أنواع :

[١] الصبر البدني الاختياري :

صبر يتعلق بالبدن ، لكنه اختياري يمكن أن يفعله

الإنسان ويمكنه ألا يفعله ، مثل الصبر على تعاطي الأعمال

الشاقة كحمل الأشياء الثقيلة فهذا صبر بدني اختياري من

الإنسان .

[٢] الصبر البدني الإضطراري :

يكون صبراً بدنياً لكنه اضطراري ، كإنسان أخذ وعُذِبَ وضُرِبَ ، فهو الآن يُضْرَبُ من قبل الذي يضربه ، فهذا صبر بدني واضطراري .

[٣] الصبر النفساني الاختياري :

كصبر الإنسان على حبس النفس ، مثلاً عن الغضب ، هذا النوع من الصبر نفساني واختياري .

[٤] الصبر النفساني الاضطراري :

كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حِيلَ بينها وبينه ، مثل إنسان أراد أن يهاجر في سبيل الله ولكنه حبس أن يهاجر إلى أقوام صالحين ، أو حبس عن إتيان شيء من الأشياء المحمودة شرعاً .

فهذه الأنواع الأربعة بعضها يجتمع في الحيوان وبعضها لا يكون إلا في الإنسان ، فهناك نوعان لا يكونان

إلا في الحيوان وهما :

- البدني : هذا من صبر الحيوان .
- والاضطراري : أيضاً من صبر الحيوان لأنه ليس له اختيار .

فإذاً بعض الناس عندهم صبر بدني ، وهذا النوع لا يكون محموداً دائماً من هذا القبيل ، مثلاً تجد بعض الكفرة أو بعض الناس الذي يجرون وراء الماديات لديه استعداد أن يصبر في العمل والكد ويشغل في اليوم ١٢ ساعة أو ١٤ ساعة ، مثلاً سائق شاحنة يسافر ويتنقل ويصبر على هذا التعب .

هذا الصبر ليس محموداً دائماً ، هذا الصبر فيه من صبر الحيوانات ، بل إن بعض الحيوانات القوية تصبر بدنياً أكثر من صبر الإنسان ، وكذلك الصبر الاضطراري ، الحيوان يصبر على الألم ويصبر على الأذى ، يصبر اضطراراً

الصبر على طاعة الله

وليست هذه الأنواع التى ترفع الإنسان إلى المكانة العليا إلا إذا قصهد بها وجه الله .

فما هى الأنواع التى يفترق فيها الإنسان عن الحيوان ؟

[١] الصبر النفسى .

[٢] الصبر الاختياري .

الأمور التى تحتاج إلى مصابرة فعلاً هى المصابرة النفسية على ميول النفس وعلى هوى النفس ، وكذلك على الأمور الاختيارية التى يمكن للإنسان أن يفعلها أو لا يفعلها ، وهو مع ذلك يفعلها فى الخير ، هذه الأمور التى تفرق بين الإنسان والحيوان ، فالإنسان إذا صابر باعث الهوى ودفع باعث الهوى ... صار مثل الملائكة فى هذا الجانب ، وإذا عليه باعث الهوى والشهوة فإنه يصبح مثل الشياطين ، وإذا غلبه طبع الأكل والشرب والجماع فقط ، فإنه يصبح مثل البهائم .

أقسام الصبر

- [١] صبر على طاعة الله .
- [٢] صبر على معصية الله « أي لا يرتكبها » .
- [٣] صبر على أقدار الله ^(١) .

نحن كلامنا ستركز على القسمين الأولين ، الصبر على الطاعة ، والصبر على المعصية ، وهذه الثلاثة أنواع اجتمعت في آية واحدة ، وهي قول لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه :

قال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان : ١٧] .
فإن في قوله ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فعل

(١) انظر رسالتنا « تسلية المصاب » من مطبوعات دار الإيمان .

الصبر على طاعة الله

الطاعة والصبر عليها ، ﴿ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ غير معقول ينهى عن المنكر وهو يفعل المنكر !! ، فمعنى هذا أن لقمان عليه السلام يوصى ابنه بالصبر على المعصية ، ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ هي الصبر على أقدار الله التي تصيب الإنسان .

هذه الأقسام : الصبر على الطاعات والصبر عن المحرمات والصبر على الأقدار هي واجبة أم مستحبة ؟ أم مكروهة ؟ أم محرمة ؟ ! .

هي واجبة ، يجب على الإنسان أن يصبر على هذه الأقسام ، يصبر على الطاعة ، مثل أن يصبر على الصلاة وعلى الزكاة .

وكذلك يصبر عن المحرمات ، مثل أن يصبر عن الشهوات ، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوي في مسألة الاستمناء يقول : من فعل الاستمناء تلذذاً أو تذكراً أو عادةً بأن يتذكر في حال

استمنائه صورةً كان يجامعها [يتخيل صورة امرأة مثلاً وهو يجامعها] ويستمنى ، فهذا كله محرم لا يقول به أحمد ولا غيره ، [لأن المشهور في مذهب الحنابلة أن الاستمناء مباح] فيقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : وهذا لا يقول به أحمد ولا غيره .

والصبر على هذا من الواجبات لا من المستحبات ، والصبر عن المحرمات واجب ، وإن كانت النفس تشتت به وتهواه ، قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٣] ، الاستعفاف : هو ترك المنهي عنه ، وقد سبق أن ذكرنا : أن شهوة الفرج إذا صبرت عليها تصبح عفيفاً ، فإذا صبرت عن هذا الأمر المحرم فإنك تصبح عفيفاً ، فإذا هذه الأشياء واجبة وليس مستحبة أو مكروهة .

أيهما أفضل الصبر الاضطراري ؟ أم الصبر الاختياري ؟ .

هل الصبر على الطاعة التي يمكن أن تفعلها ويمكن أن لا تفعلها أفضل ، أم الصبر مثلاً على مرض أصابك أو على بلية حلت بك ؟ .

كلاهما واجب ، ويجب الصبر في كل الحالات ، لكن أيهما أفضل ؟ .

يقول ابن تيمية - رحمه الله - والصبر الاختياري أكمل من الاضطراري ، ولهذا كان صبر يوسف الصديق عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز أفضل وأكمل من الصبر على ما ناله من الحبس أو على ما ناله من إلقاء إخوانه له في الجُب ، وكذلك كان صبر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على ما أنالهم الله من الأوامر وأعطاهم من الشريعة باختيارهم وفعلهم ومقاومتهم

لأقوامهم أكمل من صبر أيوب على ما ناله في الله من ابتلاء « فصار صبر هؤلاء أكبر من صبر أيوب عليه السلام » ، وكذلك كان صبر إسماعيل الذبيح وصبر أبيه إبراهيم على تنفيذ أوامر الله عز وجل أكمل من صبر يعقوب على فقد ولده « لأن صبر إبراهيم وإسماعيل صبر اختياري ، كان من الممكن أن ينفذ الذبيح وأن لا ينفذ الذبيح ، وبإمكان إسماعيل أن يعترض ، وأن لا يعترض ولكنهما أسلما الله عز وجل ، وصبرا صبراً اختياراً ، صبر إيثار ومحبة الله عز وجل بخلاف صبر يعقوب على فقد ولده يوسف فإنه صبر اضطراري ، لأنه فقد ابنه فماذا يمكنه أن يفعل ؟ » .

وهكذا إذا أُوذي المسلم على إيمانه وطلب منه الكفر ، أو الفسوق ، أو العصيان ، وإن لم يفعل أوي وعُوقب فاختر الأذى والعقوبة على فراق دينه كان هذا أفضل ، كما كان فعل المهاجرين حيث اختاروا فراق الأوطان على فراق الدين ، وكانوا يعذبون ويؤذون .

هذا كله من أنواع الصبر الاختياري العظيم الأجر جداً ، وقد أُوذِيَ النبي ﷺ بأنواع من الأذى ، فكان يصبر عليه صبراً اختيارياً ، فإنه إنما يُؤذَى لأنه لا يفعل ما يمكنه أن يفعله باختياره ، وكان من الممكن أن يتوقف عن الدعوة إلى الله عز وجل ، لكنه آثر أن يسير ويمشى في مشوار الدعوة اختياراً ، وصبر على هذا صبر اختيار ، وكان هذا أعظم من الصبر الاضطراري .

فقد حبس المشركون النبي ﷺ وأصحابه في الشعب ، ولما مات أبو طالب اشتدوا عليه ، فإذا هذه الأنواع من الصبر أنواع عظيمة جداً لأن أصحابها قد اختاروا الصبر في ذات الله عز وجل اختياراً من أنفسهم .

وهذا هو الذي يحمل الإنسان على المجاهدة في سبيل الله عز وجل ، ولذلك كان الأمر موجه للرسول ﷺ ، وموجه لنا أيضاً : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ ﴾

[الأحقاف : ٣٥] ما قال فاصبر كما صبر أيوب ، قال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ ﴾ لأن صبرهم كان قمة صبر الاختيار ، وهؤلاء أولوا العزم من الذين صار عليهم مدار الشفاعة يوم القيامة ، حتى ردوها إلى أفضلهم وخيرهم وأصبرهم لحكم الله صلوات الله عليهم أجمعين محمد ﷺ .

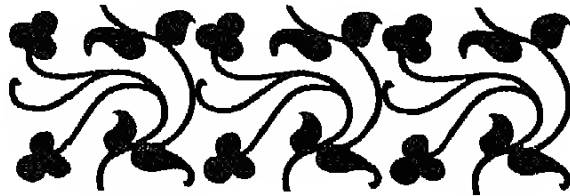
فإن قال إنسان : هل الصبر على فعل المأمور أفضل أم عن فعل المحذور ؟ .

الصبر على الطاعة أفضل من الصبر عن المعصية :

هذه المسألة اختلف فيها العلماء وترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول : « أن الصبر على فعل الطاعة أعلى من الصبر على فعل المعصية ، لأن الأصل المأمور ، وما جاء النهي عن المحذور إلا تكملة وحفظاً للمأمور » الأصل المأمور وجاء النهي عن المحرم من باب

حماية المأمور .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : « يكون الصبر في وقت المأمور وفي وقت المحذور هو الأفضل ، فإذا حضرك شيء محذور صار الصبر عنه هو الأفضل في ذلك الوقت ، وإذا حضرك شيء مأمور به صار الصبر عليه هو الأفضل في وقته » .



تقسيم آخر للصبر

قسم بعض العلماء - كما يقول ابن القيم في مدارج السالكين - الصبر إلى ثلاثة أنواع :

[١] صبر لله .

[٢] صبر مع الله .

[٣] صبر بالله .

فأما الصبر بالله :

فإن الله إذا لم يصبرك لم يصبر ، ولذلك يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ، لأن الله إذا لم يصبرك لم تصبر ، فالصبر أصلاً أتى من الله عز وجل هو الذى يرزقك الصبر .

وأما الصبر لله :

فهو أن يكون لوجه الله ، فإن بعض الناس قد يصبرون

عن أشياء لكن ليس من أجل الله ، فقد يصبر على فعل الصلاة رياءً ، فيجب أن يكون صبره لله ^(١) .

وأما الصبر مع الله :

فهذا بعض الصوفية يعرفونه تعريفات منحرفة ولكن يوجه ابن القيم - رحمه الله - هذه القضية فيقول : الصبر مع الله يعنى مع أوامر الله بحيث يدور الإنسان المسلم معها حيث ما دارت ، فأينما توجهت به الأوامر توجه معها ، فهذا الإنسان يكون صبره دائماً مع الله عز وجل ، حيثما توجهت به الأوامر توجه معها ، فهذا الإنسان يكون صبره دائماً مع الله عز وجل ، حيثما كانت مرضاة الله فهو يصبر ، وهناك أمور أخرى فى الصبر لا بد للإنسان المسلم فقط منها .

(١) ومنه صبر المرأة السوداء التى كانت تصرع على عهد النبى ﷺ وقصتها انظرها عند : البخارى (١١٩/١٠ فتح) المرضى ، ومسلم (١٣١/٦ نووى) البر والصلة .

أحياناً يتصور الإنسان أن الصبر هو على قضية البلاء فقط ، لكن أيضاً لابد أن يتصور الإنسان المسلم أن الصبر على النعماء لا يقل شدة عن الصبر على البلاء .

ولذلك يقول بعض السلف : « ابتلينا بالضراء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر » ، أحياناً الإنسان في مواجهة التحدي وفي مواجهة المصاعب يصمد ويصبر ، ولكن إذا فتح عليه من زهرة الدنيا وزينتها لا يصبر .

ويقول بعض السلف أيضاً : « البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ، ولا يصبر على العافية إلا الصديقون » فعلاً ، قد تجدد بعض الكفار يصبرون على البلاء ، قد تجدد كافراً لا يتسخط ولا يشتكى ، لكن لا يصبر على العافية إلا المخلصون فعلاً والصديقون ، فإذا جاءتك نعمة الله عز وجل فكيف يكون صبرك عليها ؟ .

[١] تكون بألا تركز إليها ولا تغتر بها ، هذا من

الصبر في حال النعمة .

[٢] ألا تنهك في نيلها وتبالغ في استقصائها ،
كمن يبالغ في الأكل والشرب والجماع حتى يؤدي ذلك
إلى ضد ما يتمناه ، فيؤدي به الإفراط في الأكل والشرب
إلى التخممة وإلى أن يضطر أن يمنع نفسه عن الأكل
والشرب ، ويؤدي به الإفراط في الجماع إلى استنزاف قواه
وخور قواه العقلية أيضاً ، ولذلك لابد أن يحفظ الإنسان
نفسه ولا يفرط في هذه الأشياء .

[٣] الصبر على أداء حق الله في هذه النعم ، حتى لا
يضيع الإنسان هذا الحق فيسلبها الله منه ، وكذلك
يصبر عن صرف هذه الأشياء في الحرام هذا كله من صبر
النعمة .

وكان بعض الصالحين يحمل في جيبه رقعة يخرجها
كل ساعة فيطالعها إذا غفل مكتوب فيها : ﴿ وَأَصْبِرْ ﴾

لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿ [الطور : ٤٨] فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
قد يصبر كما ذكرنا في الضراء لكن لا يصبر في السراء ،
فيجب أن يكون الصبر ملازماً أو مصاحباً له في جميع
الأحوال ، والصبر من أشق الأشياء على النفوس وهذه
المسألة التي سنذكرها الآن مهمة جداً .

قوة النفس :

النفس فيها قوتان قوة إقدام وقوة إحجام .
النفس فيها قوة تجعل الإنسان يقدم وكذلك فيها قوة
تجعل الإنسان يحجم ، فيجب على الإنسان - بعملية الصبر
- أن يجعل قوة الإقدام مصروفة على الأشياء التي تنفعه ،
وقوة الإحجام يجعلها بالصبر إحجاماً عما يضره ، ومن
الناس من تكون قوة صبره على فعل ما ينتفع به أقوى من
صبره على ما يضره ، فلذلك تجد بعض الناس يصبرون على
مشقة الطاعة ولكنهم لا يصبرون عن المعصية ، فهو قد

تتحكم فى قوة الإقدام ، ففعل الطاعة ، لكن لا يتحكم بصبره فى قوة الإحجام فيقع فى المعاصي .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : « فكثير من الناس [وهذه حالة عجيبة موجودة عند بعض الناس فعلاً] يصبر على مكابدة قيام الليل ويصبر على الطاعة فى الحر والبرد وعلى مشقة الصيام ، ولكنه لا يصبر على نظرة محرمة ، وكثير من الناس له صبر عن المعاصي ولكنه ليس له صبر على الطاعات ، فقد تجدد بعض الناس يصبر عن الشهوات ، ولكنه لا يستطيع أن يصبر نفسه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين » ، وهذا أيضاً حاصل .

والسبب فى ذلك يرجع إلى أمرين :

[١] القوة التى تدعوك لعمل هذا العمل .

[٢] سهولة عمل هذا الفعل بالنسبة للإنسان .

فإذا اجتمع فى الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه

أشق شيء على الصابر ، لو كان الداعي إلى الفعل قوي جداً والفعل أمر سهل ومتوفر ، فعند ذلك : الصبر في هذا الموقف يكون في أعلى الدرجات .

وإن فقدنا معاً ، ولم يجد القوة التي تدفعه لعمل هذا الشيء المحرم ، وأيضاً هذا الأمر صعب جداً لا يكاد يوجد ، فيكون الصبر في هذا الأمر سهل لأن ليس هناك قوة تدفع لهذا العمل ، وفي نفس الوقت هذا العمل صعب جداً أن يتوفر وبذلك يكون الصبر سهلاً جداً .

وبحسب تفاوت العامل الأول والثاني يتفاوت الصبر وقد يوجد أحدهما ويفقد الآخر ، فمثلاً هناك أناس ليس لديهم دافع للقتل أو السرقة ، وفي نفس الوقت القتل والسرقة قد يكونا غير متوافران ، ففي هذه الحالة يكون الصبر سهلاً ، وقد يكون الداعي إلى هذا العمل أحياناً قوي وسهل فيكون الصبر عليه صعباً ، ولذلك كان صبر السلطان على الظلم ، وصبر الشباب عن الفاحشة ، وصبر الغني عن اللذات

الصبر على طاعة الله

والشهوات ، كان صبرهم عند الله بمكانة عظيمة ، لأن الإنسان في مكان السلطة في مكان المنصب يكون داعيه إلى ظلم الناس كبير .

فكونه يصبر نفسه ويكون إماماً عادلاً صارت عملية الصبر عنده عظيمة ، ولذلك صار من السبعة الذين يظلمهم الله .

الشاب الذى يصبر على الفاحشة ، الرجل الذى دعت له امرأة ذات منصب وجمال لنفسها فقال : « إني أخاف الله » هذا الشاب داعي الفاحشة فى نفسه قوي ، لأنه شاب وهذه المرأة هى التى تدعوه إلى الفاحشة ، فطريق الزنا سهل ، فلما صبر أصبح من الذين يظلمهم الله ، فصار صبر هؤلاء السبعة عند الله بمكان لأنه اجتمعت عندهم العوامل: صار الداعى قوي ، والفعل متوفر وسهل ومتيسر ، ومع ذلك صبروا .

وهذه المسألة مهمة - أيها الإخوة - لأنها هي التي
تعلل لنا لماذا الناس يصبرون على طاعات كثيرة لكنهم لا
يصبرون عن آفات اللسان مثلاً .

لماذا صار الصبر عن آفات اللسان صعباً ؟ لأنه متيسر ،
حركة اللسان سهلة جداً ، فلذلك صارت آفات اللسان
والكلام في عيوب الناس من فاكهة بعض الناس ، فكثير
من الناس يقعون في الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والثناء
على النفس ، وتزكية النفس ، مع أنهم يصلون مع الناس
في المساجد ، ويؤدون الزكاة ويصبرون في الصيام ، ويفعلون
أشياء كثيرة بل قد يدعون إلى الله ، وقد يصبرون على
المشاق ، لكن عندهم آفات اللسان متفشية ، لماذا ؟! لأن
قضية اللسان سهلة ومتيسرة فلذلك يقع فيها الإنسان فكان
الصبر في هذه الحالة قوياً جداً ، فإذا صارت المعاصي
اللسانية معتادة للعبد فإنه يعز عليه الصبر عنها .

ولهذا يقول ابن القيم - رحمه الله - : « ولهذا تجد

الرجل يقوم الليلى ، ويصوم النهار ، ويتورع عن استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة [ولو جئت بوسادة حرير لا يمكن أن يستند عليها ولو للحظة واحدة] ، ولذلك يتورع عن الدقائق من الحرام ، والقطرة من الخمر ، ومثل رأس الإبرة من النجاسة [لو أصابه نجاسة ولو بقدر إبرة لذهب واغتسل] ، ولكنه إذا جاء إلى مسائل الغيبة والنميمة ، والتفكه فى أعراض الخلق أطلق فيها لسانه [لسهولة العملية] ، وكما يحكى أن رجلاً اختلى بامرأة أجنبية فلما أراد مواقعتها قال : « يا هذا غطي وجهك فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام » !! فعنده الدافع إلى الشهوة قوي قضاء الوطر لكن تورع بزعمه وقال : غطي وجهك يا هذه فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام ثم يقع عليها ويواقعها وهذا كله من الورع الفاسد .

هذا يسمى ورعاً فاسداً ، وهذا من باب ما أخبر به ابن

عمر - رضى الله عنهما - « أن أناساً من قطاع الطرق يقصدون الحج ويسألوني عن قتل المحرم للقمل !! [يسألون عن حكم قتل القمل للمحرم وهم من قطاع الطرق] فقلت يا عجباً لقوم لا يتورعون عن قتل النفس التى حرم الله قتلها ، ويسألوني عن قتل القملة فى الإحرام » .

ما هو السبب ؟ هناك بعض الناس فيهم هذا الانحراف فعلاً ، عندهم هذه الازدواجية العجيبة وعندهم مثل هذا الورع الفاسد ، ما هو السبب ؟! .

السبب أن المسألة تعود إلى قوة الدافع وسهولة حصول الأمر .



ثمرات الصبر

الصبر له أهمية عظيمة ، فالذي يتدبر آيات الله في كتابه العزيز يجد جانباً كبيراً من هذه الأهمية فتجد أن الله عز وجل يأمر به فيقول : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ، ونهى عن ضده فقال : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، وقال : ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، نهى عن ضد الصبر وعلق الفلاح على الصبر فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠) [آل عمران : ٢٠٠] وأخبر عن مضاعفة الأجر للصابرين بأضعاف مضاعفة وبغير حساب ، فقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [القصص : ٥٤] ، بل إن أجرهم يضاعف بغير حساب

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

قال أحد السلف : كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر لأن الله قال : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ولذلك كان أجر الصوم غير مقدّر كما يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » ^(١) ، ثواب غير مقدّر لأن الصوم يتعلق أساساً بالصبر ، هو عبارة عن حبس النفس ومنعها عن الطعام والشراب والجماع والغيبة ... إلخ ...

بل إن الله علّق الإمامة في الدين على الصبر واليقين ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

(١) جزء من حديث عند مسلم (٢ / صوم / ٨٠٧ / ح ١٦٤) .

والإمامة معناها أن يَأْتَمَ الناسُ بهم ويقتدون ، فإذا أراد الشخص أن يكون إماماً في الناس يُقْتَدَى به فعليه أن يأخذ الصبر بالدرجة الأولى ، ولذلك كان من أقوال ابن تيمية - رحمه الله - المشهورة « بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين » ^(١) ، بل إن الله جعل للصابرين ظفراً ليس مثله ظفر وهو الظفر بمعيته عز وجل فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

وجمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم

وهي :

١ - صلاة منه عليهم .

٢ - ورحمته لهم .

٣ - وهدايته إياهم .

(١) وقال ابن عيينة : لما أخذوا برأس الأمر ، صاروا رؤوساً .

والدليل : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] ، فجمع لهم ثلاثة أشياء ما جمعها لأحد غيرهم ، صلوات من ربهم ورحمة واهتداء . وكذلك جعل الله الصبر عوناً لنا فقال : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] ، فجعله عون وزاد سلاح ، وعلق النصر على الصبر فقال عز وجل : ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) ﴾ [آل عمران : ١٢٥] .

وأخبر سبحانه وتعالى أن الملائكة تسلم على المؤمنين في الجنة لصبرهم والدليل : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ

الصبر على طاعة الله

(٢٤) ﴿ [الرعد : ٢٤] صبرتم في الدنيا ؟ على الطاعة وعن المعصية وعلى أقدار الله تعالى - المصائب - .

وكذلك جعل الله أهل محبته هم أهل الصبر فقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

وأخيراً أن خصال الخير لا تجتمع ولا تعطى ولا تلقى إلا للصابرين ، جاءت في موضعين في القرآن :

فيقول الله عز وجل في قصة قارون عن العلماء أنهم كانوا يقولون للذين يريدون الحياة الدنيا ﴿ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [القصص : ٨٠] .

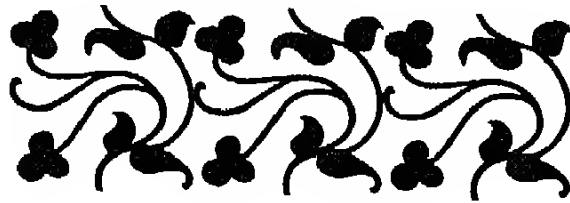
وكذلك قال الله عز وجل عمن صار بينه وبين أخيه عداوة فعامله بالحسنى قال : ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت : ٣٥] .

فاذا خصال الخير كلها تجتمع في الصابرين ، وأخبر عز وجل بأنه لا ينتفع بآياته إلا أهل الصبر فقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] ، والله عز وجل قرن بين الصبر وبين أشياء عظيمة « عندما تجدد الشيء مقترن بشيء عظيم فإن هذا يدل على عظيمته هو » فقرن الله الصبر بالتقوى ، وقرن الصبر بالعمل الصالح ، وقرن الصبر بالمرحمة .

فمن اقتران الصبر بالتقوى قوله عز وجل : ﴿ لَتَسْلُوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ، وقال : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ [يوسف : ٩٠] ، وكذلك قرن الله الصبر بالعمل ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ

يَحْكُمُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ [يونس : ١٠٩] .
وَقَرْنَ بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالصَّبْرِ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد : ١٧] .



أقسام الناس في الصبر والرحمة

- [١] قسم يصبر ولا يرحم .
- [٢] قسم يرحم ولا يصبر .
- [٣] قسم لا يصبر ولا يرحم .
- [٤] قسم يصبر ويرحم .

فيقول ابن تيمية - رحمه الله - في ذلك كلاماً
جميلاً :

« إذ من الناس من يصبر ولا يرحم كأهل القوة
والفساد [يصبرون ويجالدون ولكنهم لا يرحمون] ،
ومنهم من يرحم ولا يصبر كأهل الضعف واللين [مثل
كثير من النساء ومن يشبههن] ، فمن طبيعة النساء أنهم
يرحمن ولكنهن لا يصبرن ، فقد تجد المرأة فاسقة والعياذ
بالله لكن إذا رأت طفلاً يحتاج إلى إرضاع وجائع رحمته

وأرضعته ، وقد تكون من الذين لا يصبرون على الفواحش ،
 [وهذه خصلة في المرأة أكثر من الرجل ، ينبغي على المرأة
 الانتباه إليها أنها قد ترحم ، ولكن لا تصبر ، فلا تعتبر
 نفسها عندما ترحم أنها بخير إذا كانت من غير أهل
 الصبر ، يجب أن تجمع إلى رحمتها الصبر أيضاً] ومنهم
 من لا يصبر ولا يرحم كأهل القسوة والهلع ، [ناس قساة
 يصبرون وعندهم جلد ، لكنهم عندهم هلع لا يصبرون
 أيضاً] والمحمود هو الذي يصبر ويرحم .

والصبر هو زاد في طريق الدعوة إلى الله عز وجل .

كما قال صاحب الظلال - رحمه الله - :

الصبر على أشياء كثيرة ، الصبر على شهوة النفس ،
 ورغباتها وأطماعها ، ومطامعها وضعفها ونقصها وعجلتها
 وملاها من القريب [فهي تمل بسرعة] ، الصبر يكون
 في مجالات كثيرة ، مجالات شتى من أعظمها الصبر على

شهوة النفس ، وكذلك الصبر على شهوات الناس ،
ونقصهم ، وضعفهم ، وجهلهم ، وسوء تصورهم ،
وانحراف طبعهم ، وأثرتهم ، وغرورهم ، والتواءهم ،
واستعجالهم الثمار فالداعية الذى داعية يدعو إلى الله عز
وجل ، لابد أن يصبر تماماً على ما يواجهه من الناس ،
سيواجه من الناس أشياء كثيرة : أولاً : شهواتهم ، وكذلك
يجب الصبر على جهل الناس ، فإذا لم تصبر نفسك على
جهل هؤلاء فإنك ستأس من دعوة أولئك الناس ، وكذلك
سوء تصوراتهم ، فالناس عندهم سوء فى التصور ،
تصوراتهم فى العقيدة ، فى القضاء والقدر ، تصوراتهم فى
مغفرة الله ورحمته ، تصوراتهم السيئة فى أشياء كثيرة جداً ،
الناس عندهم غرور ، عندهم التواءات نفسية عندهم مزالقي
عندهم ... لابد من الصبر على التواءات الناس ، وكذلك
الصبر على تنفس الباطل ، ووقاحة الطغيان ، وانتفاش الشر ،
وغلبة الهوى ، وعلى تصغير الغرور والخيلاء ، فإن الإنسان

الصبر على طاعة الله

إذا رأى انتفاشة الباطل ولم يكن عنده صبر فإن هذا الأمر سيؤدي به إلى اليأس والقنوط وفقد الأمل تماماً في الوصول بالأمة إلى المرتبة التي يريدّها الله عز وجل ، والصبر على قلة الناصر وضعف المعين ، وطول الطريق ، ووسواس الشيطان ، في ساعات الكرب والضيق [كل كلمة من هذه الكلمات تحتاج إلى دروس كاملة] .

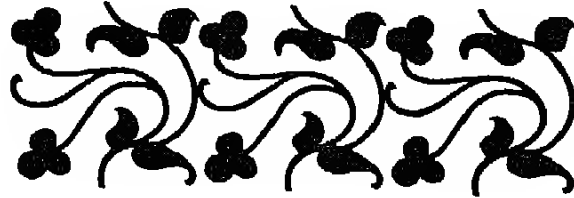
طريق الشر قصير وسهل ، وطريق الخير طويل وشاق وصعب ، ووسواس الشيطان وشيء من النفس الأمارة بالسوء وشيء من القرين الذي يأمرك بالشر قرين الجن ، والشيطان وأهل الشر الذين يزينون للناس الشر ، والصبر على مرارة الجهاد ، وهذا كله انفعالات متنوعة من الألم والغضب والحزن والضيق والصبر بعد هذا كله على ضبط النفس في ساعة القدر والغلبة والانتصار ، لأنك قد تصل إلى مرحلة تغلب وتنتصر وتتمكن ، لذلك قال الله عز وجل لنبيه ﷺ :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ [سورة : النصر] .

استغفره من الأشياء التي حصلت في الماضي من الأخطاء والزلل والمعاصي ، واستغفره مما يحصل في النفس من زهوة النصر ، من الزهو والخيلاء والفخر ... لذلك أيها الأخوة الصبر لا ينقطع في جميع مراحل الدعوة حتى لو وصلت إلى مرحلة التمكّن والعلو في الأرض ، فإن الصبر لا ينقطع مطلقاً ، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر وبدون خيلاء ، والبقاء في السراء والضراء على صلة بالله عز وجل والاستسلام لقدره ، ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع ، الصبر لا بد منه ، الصبر أوله مرّ ولكن آخره حلو جميل المذاق ، والزرع لا ينبت ساعة البذر إذا وضعت البذرة لا تنبت في الحال ، لا بد للزارع أن يصبر حتى تنمو

٥١ الصبر على طاعة الله

بذرتة وتشتد على سوقها وتقوم ، والجنين يظل فى بطن أمه
تسعة أشهر ، يظل حتى يكتمل نموه وحتى يستوي خلقه .
ولهذا يا أيها الأخوة ، لهذا السبب لابد من الصبر فى
أشياء كثيرة ، أشياء الآن لو كتبنا وفصلنا فيها سوف يطول
المقام .



أمور تقابل الصبر

من الأشياء المقابلة والمعاكسة للصبر « عملية الاستعجال » ، كثير من الناس « وحتى الدعاة إلى الله » يستعجلون الثمرة ، يريدون من الناس أن يلتزموا بالإسلام بسرعة ، ويريدون من الناس أن يتمسكوا بسرعة ، ويريدون من الناس أن يتركوا المنكرات بسرعة ، بدون صبر على هؤلاء الناس .

هذا لا يحصل ، بل إنه حتى لو التزم هؤلاء الناس يريدون منهم أن يرتقوا في مدارج العلم بسرعة ، وفي مدارج التربية بسرعة ، وإلى مرحلة التصورات الصحيحة ، وإلى مرحلة العمل للإسلام ، بسرعة كبيرة ، يريدون نقلهم أن ينقله نقله بعيدة في وقت قصير جداً ، هذه العملية بدون صبر لا تصلح ، ولذلك ترى ثمرات هؤلاء العاملين

الذين فقدوا الصبر في هذه المواقف ثمرات ناشئة غير ناضجة لعملية الاستعجال المنافية للصبر .

أحياناً الإنسان يتسرع فيحكم على الناس بالخطأ ،
أحياناً يتسرع فلا يعذرهم ، ولو أنه صبر لكان خيراً له ،
أحياناً الإنسان يتسرع ويهاجم ، حتى طالب العلم يحتاج
إلى صبر ، يحتاج إلى الصبر في أشياء كثيرة .

أحياناً الإنسان يتسرع ويأخذ علماً من العلوم وهناك ما
هو أهم منه ، فلا بد أن يصبر ويتروى ، وأحياناً الإنسان يأتي
ليقرأ فيمل فلا بد أن يصابر نفسه .

كيف وصل العلماء الكبار إلى حالات عجيبة من
الصبر على طلب العلم ، كيف كان بعضهم له خمسة
دروس في اليوم والليلة متواصلة غير وقت الطلب الخاص
به ، كما كان النووي - رحمه الله - له حوالي عشرة
دروس متواصلة يبحث فيه بنفسه ويقرأ فيها بنفسه .

والشيخ الشنقيطي - رحمه الله - كان له أكثر من خمسة دروس متواصلة غير وقت الطلب الخاص به ، وكيف يجلس علماء الحديث يصبرون على طلب الحديث الواحد ويسافرون في طلب الحديث الواحد الشهور حتى يصلوا إلى مبتغاهم .

وهذا الشيخ الألباني - رحمه الله - من علماء الحديث المعاصرين ، كان يجلس في المكتبة الظاهرية لبحث عن حديث ينتقل من رف إلى رف ، يجلس على السلم [لأن المكتبة رفوف] قرابة خمس ساعات متواصلة وهو يبحث في المجلدات على الرفوف داخل المخطوطات بهذا الخط الدقيق الصعب القراءة حتى يصل إلى نتيجة ما ^(١) .

كيف وصل هؤلاء الناس إلى هذه المرتبة ؟ ، إنهم لم

(١) ارجع إلى كتاب « أحداث مشيرة في حياة العلامة الألباني » من مطبوعات دار الإيمان ، وانظر : صفحات من صبر العلماء ، لعبد الفتاح أبو غدة .



الصبر على طاعة الله

يصلوا إليها إلا بالصبر على طلب العلم ومجاهدة النفس .
اصبر على ما كرهت تحظى بما تهوى فما جازع بمعذور
إن اضطبار الجنين في ظلم الأحشاء أفضى به إلى النشور
والمسلم الداعية الذي لا يعرف الصبر داعية فاشل ، لا
يعلم سنن الله تعالى ، فإذا استحكمت الأزمات ، وتعقدت
حبالها ، وترادفت الضوائق ، وطال الليل ، فالصبر على
الهدى والحق هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من
التخبط والهداية الواقية من القنوط .

وكذلك أيها الأخوة : عاش السلف - رحمهم الله -
في أجواء التربية ، الصحابة رضوان الله عليهم عاشوا في
أجواء التربية ، يتنقلون من مرحلة إلى مرحلة ، كان
رديفهم الصبر دائماً ، ولذلك وصلوا إلى هذه المراتب
العالية ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « وجدنا خير عيشنا
بالصبر » أحسن العيش والأوقات كانت في الصبر .

فلا بد من هذا الدواء الذى أوله مرّ ولكنه فى النهاية حسن الطعم جداً .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم هذا الأمر العظيم من أمور الدين ، وأن يجعلنا من الصابرين المصابرين المصطبرين فى ذات الله وأن يجعل صبرنا لله وبالله ومع الله ، وهذا آخر ما تيسر ذكره من الكلام على مسألة الصبر .

ومن شاء الزيادة فليرجع إلى كتاب « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » .

وتكلم ابن تيمية وكذا تكلم ابن القيم -رحمهما الله- فى « مدارج السالكين » عن منزلة الصبر وغيرهم من علماء السلف .

فمن شاء الزيادة فليراجع لمثل هذه المراجع وغيرها ، وأفضل ما يمكن للإنسان أن يعلم به حقيقة الصبر هو « المعاشة اليومية للمشاكل التى تواجهه » مشاكل

اجتماعية ، مشاكل مع نفسه ، مع الشهوات ، مصارعات لهذه الشهوات ، مع الناس ، فى الدعوة إلى الله ، امرأة تصبر على الحجاب وزوجها يشنها عنه ، وامرأة تريد أن تطلب العلم وتريد أن تجعل من بيتها بيتاً مستقيماً ، وقد لا توفق بزواج صالح ، فلا بد أن تصبر نفسها على هذا البلاء الذى حل بها ، الإنسان الداعية فى جميع مواقفه والمجاهد الذى يجاهد فى سبيل الله يحتاج إلى الصبر ، فأحسن مسألة أحسن قضية ، يمكن أن يتعلم الإنسان فيها الصبر قضية الممارسة والمعاشة اليومية لأحداث الحياة ولا تكاد تتأمل حادثة من حوادث الحياة التى تمر بك إلا وتحس بأن الصبر هو المفتاح لما أغلق ، وهو الدواء لكل المشاكل وهو الحل لكل المشاكل التى تواجهها .

وسبحانك اللهم وبحمدك وأشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وصحبه وسلم ، والحمد لله أولاً وآخراً .

الفهرس

رقم الصفحة

- المقدمة ٣
- أهمية الموضوع ٥
- معنى الصبر ٧
- الفروق بين هذه الألفاظ ٨
- الصبر يحول الأخلاق السيئة إلى حسنة ١٤
- أنواع الصبر ١٦
- أقسام الصبر ٢٠
- أيهما أفضل الصبر الاضطرارى أم الصبر
الاختيارى ؟ ٢٣
- الصبر على الطاعة أفضل أم الصبر عن
المعصية ٢٦

- تقسيم آخر للصبر ٢٨
- قوة النفس ٣٢
- ثمرات الصبر ٣٩
- أقسام الناس في الصبر والرحمة ٤٦
- أمور تقابل الصبر ٥٢
- الفهرس ٥٨

